ذاكرة عراقية

العدد (1317) الاثنين (8) أيلول 2008
NO. (8) Mon . (1317)Sep.

تمثال السعدون شاخص ويذكّر الشعب برفضه الاستعمار

عبدالمحسن السعدون ، أحد ضحايا المعاهدة التي أرادت بريطانيا ان تفرضها عليه! وقد ضحى بنفسه من أجل القضية الوطنية التي سعى اليها ووعد الشعب بها. ولكنه وجد نفسه وحيداً وقد تخلى عنه الأصدقاء الذين أطلعوا على منهاج وزارته. ولما خرج من المجلس وهو مرهق متعب حتى سمع من وكيل المعتمد السامي عتاباً تأباه شهامته وعزة نفسه ، وزاد الطين بلة ما سمع من كورنواليس . أثناء المأدبة التي أقامها الملك فيصل.

هذه الأحداث وما سمعه في المجلس أدت الى انتحاره. خصص مجلس النواب جلسته الخاصة المنعقدة في ٢٦/ تشرين الثاني/١٩٢٩ تخصيص راتب تقاعد لعائلة السعدون قدره (١٢٠٠) روبية في الشهر، وتقديم منحة قدرها خمسون ألف روبية لتشييد دار سكن لها على عرصة أميرية في الباب الشرقي، وتسمية قطعة أرض خصصت لسكن الموظفين تقع في جنوب شرقي بغداد باسم (محلة السعدون) وهذه الأرض الأميرية قد أعدتها وزارة ناجي شوكت للذين لا سكن لهم من الموظفين.. هذا وقد تألفت لجنة لجمع التبرعات من الأهالي لتخليد ذكرى السعدون فتجمع لديها المال الذي بقي مجمداً، بعد استقالة ناجي السويدي التي خلفت وزارة السعدون الرابعة بعد انتحاره، وأهمل مشروع التخليد يقول ناجي شوكت فلما دخلت وزيراً للداخلية في وزارة نوري السعيد الثانية في ١٩ تشرين الثاني ١٩٣١ بعثت المشروع من مرقده. فطلبت من لجنة التبرعات ان تقدم قائمة المبالغ التي جمعتها، فأتضح لي من هذه القائمة ان محاسبها المحامي ابراهيم الواعظ تصرف بقسم منها كما شاء، فسيق الى المحكمة، وحكم عليه بالحبس مدة ستة أشهر، فلما استقالت الوزارة من الحكم تدخل نوري السعيد في القضية وتمكن من أغلاقها، والباقي من التبرعات (٢٥) ألف روبية وأودعت في أحد المصارف فاستشرت جمعاً من الساسة في كيفية التصرف به لتحقيق فكرة التخليد، هل يبنى مستشفى باسمه، وهذا يحتاج الى مبالغ طائلة؟ وأخيراً اهتديت الى فكرة تمثال للراحل الذي ضحى بحياته في سبيل أمته، ولكني جوبهت بثلاثة موانع الأول قيل ان الشريعة الاسلامية لا تجيز اقامة تماثيل، الثاني: اجتهاد نوري السعيد بأن لا يقام تمثال لأحد قبل اقامته للملك فيصل الأول: والثالث: ان الأنكليز كانوا يريدون ان يكون النحات بريطانياً. فلم التفت الى المانع الأول، وكنت أعرف نحاتاً ايطالياً بارزاً سبق ان نحت عدة تماثيل لكمال أتاتورك فأعجبني لأنها كانت في غاية الروعة فقررت استدعائه الى بغداد بواسطة القنصلية للقيام بالعمل المطلوب.. أما بصدد المانع الثاني فقد زرت الملك فيصل وشرحت له قضية التبرعات وما أختفى منها والفكرة التي تراودني بخصوص اقامة تمثال، وأضفت الى ذلك، ومن غير اللائق ان يقام تمثال لأحد ما قبل ان يكون هناك تمثال لصاحب الجلالة، فاني أفكر في اقامة تمثال لجلالتكم.. فظهرت أسارير الارتياح على وجهه وسألني قائلاً: ولكن من أين ستأتي بالمال اللازم؟ فأجبت: انكم اذا استصوبتم الفكرة، فان ايجاد المال سهل.. وبعد ان رجعت الى مقر الوزارة، اتصلت بمتصرف الألوية كافة وطلبت منهم ان يبعثوا بمبلغ يوازي خمس ميزانية البلدية كمساهمة لاقامة تمثال لجلالة الملك.. فلما تم جمع المال اضافت اليها أمانة العاصمة ما لزم من المبالغ لاكمال الكلفة (وكانت نحو خمسين الف روبية) ثم استدعيت النحات الايطالي الشهير (كاتونيكا) للقيام بصنع التمثال، فاستغرق العمل فيه ثمانية عشرة شهراً، وكانت قد استقالت وزارة نوري السعيد الثانية واستقالت الوزارتان اللتان اعقبتا تلك الوزارة ثم تألفت وزارة رشيد عالي الكيلاني، فقررت اقامة تمثال السعدون، وظل شامخاً حتى اليوم يذكرنا بأيام الاحتلال البريطاني المباد.

موقف المرحوم سعيد قزاز من فيضان عام ١٩٥٤

حكمته وشجاعته كانتا سبباً في إنقاذ بغداد من الغرق

شكيب كاظم

شارع الرشيد في الخمسينيات

بعدَ اشتداد ازمة فيضان دجلة ربيع عام ١٩٥٤، والتي ارخها روائيا الروائي العراقي الراحل في ديار الغربة غائب طعمة فرمان في روايته الرائدة والرائعة (خمسة اصوات) وقبل ان تحصل الحكومة الملكية على بعض عوائد استخراج النفط، اذ تمكنت بعد نهب شركات النفط لثرواتنا الوطنية سنوات طوال، تمكنت بعد مفاوضات معها على رفع عائدات الدولة العراقية من النفط الخام المستخرج من حقول الانتاج والمصدر الى الخارج، رفعها الى ٥١٪ للدولة و٤٩٪ للشركة المنتجة ولهذا شكلت الدولة مجلس الاعمار ومن ثم وزارة الاعمار التي شغلها الدكتور ضياء جعفر لغرض اعمار البلد، وبناء المدارس والمستشفيات والدور السكنية للموظفين والعمال والمستخدمين وانشاء الجسور ومد الطرق المبلطة وبناء السدود ومنها دوكان ودربندخان والثرثار لكبح جماح الانهار في الربيع وارتفاع مناسيب المياه بسبب تساقط الامطار الغزيرة وقتئذ والتي تلاشت في السنوات الاخيرة، حتى بات العالم يعاني تصحرا وموتا فضلا عن ذوبان الثلوج بسبب ارتفاع درجات الحرارة عند حلول الربيع.

اقول: بسبب اشتداد ازمة ارتفاع مناسيب مياه نهر دجلة مما قد ينذر بحدوث فيضان، فقد عقد اجتماع موسع في مبنى مديرية الري العامة الكائنة بمنطقة الكرنتينة، وقدهدم مؤخرا عقد برئاسة رئيس الوزراء الدكتور محمد فاضل الجمالي، الذي ضيعنا خبرته وعلمه، واستهزئ به امام الناس في المحكمة العسكرية العليا الخاصة وبدون سبب ليذهب بعد اطلاق سراحه في تموز عام ١٩٦١ للعمل في الجامعة التونسية، وليموت في تونس ويدفن فيها !

عقد الاجتماع لمناقشة تطورات ازمة فيضان دجلة وتهديد العاصمة وما يجاورها بالفرق، وحضره عدد من الوزراء وخبراء في الري ومهندسين عراقيين واجانب وقد نوقشت قضية اخلاء جانب الكرخ من بغداد، وصوت الخبراء الاجانب الى جانب فكرة الاخلاء، وكان من ضمن الحاضرين وزير الداخلية الاسبق السيد سعيد قزاز الذي سأل الخبير الانكليزي عن نسبة غرق بغداد، فأجابه الخبير ان نسبة غرقها ٩٥٪ وهنا بادر سعيد قزاز - الذي رمينا عليه الحبال في المحكمة العسكرية واسمعه العوام فاحش القول وبذيئه وهو صابر محتسب يشكو الى الله ظلم الانسان للانسان - بادر قائلا برباطة جأش وجرأة في تحمل المسؤولية قل نظيرها ومثيلها: اني ساعمل بالنسبة المتبقية وهي ٥٪ واطلب مساعدة ابناء القوات المسلحة الباسلة في حفظ الامن والنظام والمساعدة في اقامة السدود وتقويها وكان الفريق الركن محمد رفيق عارف، اخر رئيس لاركان الجيش العراقي في الحقبة الملكية (١٩٢١-١٩٣٨) حاضرا فابدى استعدادا لتقديم الامكانات اللازمة والمتاحة، وقد شمر ابناء الجيش البسلاء عن ساعد الجد والعمل، فاقيمت السدود، وتولى رجال الشرطة حفظا الامن في العاصمة.

والتزم الناس بالبيانات التي تذاع من قبل الحكومة ومرت على بغداد ليال من الترقب والتوجس كانت عصيبة ومخيفة، حتى انجلت الغمة وبدأت مناسيب دجلة بالانخفاض، وتنفس الناس الصعداء ونجحت ادارة سعيد قزاز - رحمه الله - الحازمة والذكية للازمة حتى انه عرف في تلك الايام في اوساط اهل الري بـ (مستر خمسة بالمية) ومن الصور الجميلة، الجديرة بالذكر ان احد جنود الجيش العراقي البسلاء وكان من ابناء الموصل، ممن كانوا يسهمون في عملية تقوية السد، قد اكتشف حدوث ثغرة بالسد في مكان قريب من مكان حراسته، وبدأ الماء يتسرب منه، ولما تعذر عليه طلب المعونة والنجدة من زملائه الجنود لبعدهم عنه وانهماكهم بعملية الحراسة والتقوية فانه جعل ظهره عند الفتحة وجعل من جسده حاجزا ليمنع تسرب المياه الجارفة، فعل ذلك على الرغم من البرد والليل البهيم، ومن حسن المصادفات ان يمر به الفريق الركن محمد رفيق عارف - رحمه الله - متفقدا حالة السد، فوجده على حالته تلك، فاكبر جهده ونكرانه لذاته من اجل مصلحة الناس، ليؤكد ان الناس تتبع المثال والقدوة، فاذا كان المثال جيدا منصفا نزيها اقتدوا به واستظلوا بظله.

انه الايثار العراقي الانساني النبيل في تلك الايام البهية الباهية من تاريخي العراق الجميل يوم كانت الدنيا جميلة والناس - باخلاقهم ومزاياهم اجمل ومالنا تحولنا - هذه السنوات - من الايثار الى الاثرة التي تجعل مصلحة الذات فوق كل امر وشأن؟!!

منهم : توفيق أجانص ودعبول البلّام وشيخان العربنجي

شخصيات بغدادية تحدت الزمن فطواها في سراديبه

جعفر لبجة

في العشرينيات وما بعدها بقَليل لمعت في سماء بغداد العلمية والادبية شخصيات بقيت خالدة، إذ سطرت سجلا حافلا من النشاط والاعمال مثل الزهاوي والرصافي وخيري الهنداوي، وفهمي المدرس والملا عبود الكرخي وحافظ جميل وعبد الكريم العلاف والاب انستاس الكرملي، وابراهيم صالح شكر ونوري ثابت، وقد اوفى لهم البغداديون حقهم في الاهتمام بهم والذكر الطيب وكتب عنهم الكثير، ولكن المؤلم ان هناك نجوما لمعت وخبت ولم يرد ذكرها على لسان او على صفحة متواضعة من جريدة او نشرة الا القليل النادر، واريد ان اذكر البغداديين ببعض هؤلاء عسى ان يلقي ذكرهم بعض العناية والاهتمام ومنهم على سبيل المثال المرحوم عبد الله ثنيان الاديب الذي ألف معجما بمفردات اللغة العربية وكتابا في الادب العربي وقيل ان مسوداتهما قد اخذها ابن اخيه يحيى عبد اللطيف ثنيان لطبعها في مصر، ولكن لا الطبع ولا المسودات وصلت الى بغداد، وابراهيم حلمي العمر الصحافي البارع الذي كان يكتب ثلاث مقالات في اليوم الواحد في ثلاث جرائد تختلف في سياستها الواحدة عن الاخرى الامر الذي يتسم عن قابلياته المدهشة، فعلى اولاده واحفاده واجب تعريف الناس به، وعبد الغفور البدري وقاسم العلوي الذين كانا يصدران جريدة الاستقلال يوم كانت منار الوطنية في العشرينيات، وقد لاقت ولاقا من عنت السلطة واذاها الشيء الكثير، والقصاصون امثال السيد محمود احمد وعبد الوهاب الامين وسليم داود (كان موظفا في مديرية الواردات العامة)، وعبد الرحمن الفلاحي وعباس فضلي خماس، وحسين الرحال وسليم الحريري وعبد الله جدوع مترجم الآداب العربية ونوري روفائيل والسيد مكي الشيخلي اللذان سافرا اخيرا الى اسبانيا والتحقا بجيش الجنرال (مياجا) مدة سنتين لمحاربة جيش الجنرال (فرانكو).

أما الصحافي ميخائيل نيسي فلا يعرف عنه الا جريدته (كناس الشوارع) وهو الذي اقيمت عليه دعوى (التجديف) بالدين لانه استعار ما جاء بالقران الكريم (قاب قوسين او دنى) بجملة (قاب مكنستين او ادنى)، والصحفي داود العجيل صاحب جريدة البدائع المعارضة للانكليز والانتداب الذي انتهى امره بان يكون معاونا لمأمور الاستهلاك في علوة المخضر بالكاظمية. وكانت في بغداد شخصيات ترد اسماؤهم على السنة البغداديين لاسباب مختلفة ولكنهم لا يشبهون من ذكرنا في اعلاه ولكن الواجب علينا ان نسجل ما كان موجودا في بغداد في تلك الحقبة غثا او سمينا، فليس للمؤرخ ان يلتقط من المجتمع ما يلذ له. ومن هذه الشخصيات التي لا رابطة بينها وكل واحد من طراز يختلف من الاخر تو فيق اجانص: وهو من اشهر الشخصيات البغدادية في جانب الرصافة واجنص معناها الاخبار فهو مغرم بنقل الاخبار من محل الى اخر ومن شخص الى آخر، لدرجة ان جميع الموجودين بين باب المعظم والسيد سلطان علي واصحاب الدكاكين والمصالح يعرفون نفس الخبر، وتوفيق من سكان محلة الطوب في باب المعظم وفي اخر ايامه صار وكيلا لقبض الرواتب التقاعدية للعجائز والمسنين الذين لا يقدرون على مراجعة دائرة التقاعد التي كانت عبارة عن غرفة واحدة في شعبة المحاسبات في وزارة المالية ويديرها السيد محمد حسين النواب والد الدكتور ضياء النواب حيث كان عدد المتقاعدين قليلا جدا. وبهذه الوكالات استطاع توفيق ان يلتقط الاخبار من المتقاعدين ومن البيوت ما لا يستطيع احد التقاطه، لذلك اطلق عليه احد الصحفيين لقب توفيق ابو ها فاس (هافاس هي وكالة الانباء الفرنسية)، وكان توفيق بسيطا حسن السلوك محبوبا يقضي حوائج الناس بقدر ما كان يستطيع، وكان رجاؤه ووساطاته لدى المسؤولين الكبار في الحكومة لا ترد.

شيخان العربنجي: وهو اشهر عربنجي في بغداد حتى الخمسينيات يوم انقرضت عربات (الربل) تقريبا في شارع الرشيد عاش شيخان ومات فقيرا معدما واشتهر (بالزيق) الذي يخرجه من فمه. يذكر ان شيخان من مواليد قرية (سركاو) في السليمانية وكان ميسور الحال ومن عائلة طيبة وله عائلة محترمة، ولكن الزمن جفاه ونكبه بماله وعياله وجاء الى بغداد في اوائل العشرينيات، ولما كان من مريدي الطريقة الطلبانية فقد التجأ في اول مجيئه الى تكية الطلبانية في الميدان بجوار جامع المرادية. وكان بين الجامع والتكية اصطبل للعربات وصار يجتمع مع العربنجية واشتغل معهم باجرة كانت تكفيه في ذلك الزمن، وتعلم المصلحة بصورة جيدة وصار (عربنجي) واصبح ناشط جدا في اخراج (الزيق) من فمه (والزيق أي العفطة هي كلمة عامية عراقية)، كما اشتهر بذلك لفته العبد ربيب السيد كامل الخضيري ولما كان شيخان قد عرف الشاعر الكردي الكبير الطلباني واشتهر بشعر الهجاء باللغات العربية والكردية والتركية وتعلم منه ان الحياة لا تساوي شيئا وان الدنيا فانية وان عقوبة نكد الزمان هو الاستهتار بالزمان. واخذ الناس يتحرشون به ويتحرش هو بهم وقال احدهم: ان الناس يحاولون السخرية منه ولكنه هو الذي يسخر منهم ومن دنياهم. وقد تزوجت احدى بناته من احد الرجال المعروفين في بغداد (ضابط معروف في الجيش) ولكنه رفض ان يلقاه وهو يرفض اية منة من احد، وكان شيخان لا يقبل الا كرامية الزائدة عن الحد المعقول عند نقل الناس في العربة من محل الى آخر، وقد مات شيخان (رحمه الله) فقيرا معدما ودفن في مقبرة باب المعظم باعتباره غريبا من الغرباء.

دعبول البلام: اشهر بلام في بغداد خصوصا ايام الصيف حين ينزل الناس بالزورق الى شاطئ (الكاورية) ترفيها عن النفس واكل السمك المسكوف، وهو قارئ جيد للمقام العراقي وفكيه ظريف، وقد كفانا الاستاذ يوسف العاني مشقة الكتابة عنه تفصيلا، فقد جاء ذلك في تمثيليته المشهورة (دعبول).

الحاج خليل ابراهيم القهوجي الكردي القيسي: كان في صباه قهوجيا في قنبرعلي مع ابيه، واول ما بدأ عمله مستقلا كان في المدرسة الثانوية المركزية في النصف الثاني من العشرينيات، ثم انتقل الى دار المعلمين في الثلاثينيات وبقي هناك حتى استأجر المقهى من الاوقاف في محلة الخشالات في شارع الرشيد، لقد كان خليل القهوجي مثالا للكرم وحسن السلوك واللطف في المعاملة، واستمرت صداقاته الوثيقة مع جميع الذين عرفوه من طلاب الثانوية ودار المعلمين حتى بعد تخرجهم واشغالهم الوظائف في الدولة المهمة منها وغير المهمة ولا سيما ضباط الجيش، وبقيت علاقاته الوثيقة قائمة حتى بعد تقاعدهم من الخدمة وصارت مقهاه مركزا للاستعلامات ومحطة للبريد والحوالات والامانات ما بين بغداد والمحافظات، فقد كانت اكثر عناوين الرسائل وعناوين الحوالات المالية ترد وتصدر بوساطة مقهى خليل.

وقد اعتاد رواد المقهى كما اعتاد هو ان يترك التخت مع صينية الواردات مباحة للعموم حتى ان اخاه سلمان وهو من ام يهودية تزوجها ابوه في قنبرعلي، كان سلمان هذا يترك الصينية تحت رحمة كل من يجلس على التخت، وجاء في يوم من الايام احد المزاحمين في المزاد الذي اقيم في مديرية الاوقاف العامة لاستئجار المقهى وزاد على الحجي في الايجار، فاستنكر خليل ذلك واستاجر مقهى آخر بجوار المقهى الاول ولكنه لم يستأنس في هذا المقهى وركبته الحسرة والكآبة وترك العمل نهائيا ثم توفي ..الى رحمة الله...